المجلة السعودية للدراسات التربوية
والنفسية
الإصدار الرابع عشر
المجلد (٥) العدد (٣)
(١-٢١) ٢٠٢٤

النظرية السردية: من المنابت والجذور إلى المحطات والامتدادات

This work is licensed under a
Creative Commons Attribution-
NonCommercial 4.0
International License.

د. فدوى واسيل

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٣٠ نوفمبر ٢٠٢٤م

*** المقدمة**

تعتبر نظرية السرد تلك الأداة أو الآلية التي نتمكن من خلالها بتحليل وتفكيك وتشريح ومقاربة النصوص السردية بمختلف أشكالها؛ الرواية القصة الحكاية المسرحية الأسطورة الخرافة.

ومن الضروري الوعي بأن بزوغ نظرية السرد تزامن وتراجع الرواية الواقعية، لعدم قدرة هذه الأخيرة على مقاربة الرواية الجديدة التي ظهرت في أوروبا، ورواية ما وراء الخيال التي ظهرت في أمريكا[1]، وهذا لا ينفي قدرة نظرية السرد على مقاربة النصوص الواقعية أو الخيالية، لأن هاتين الخاصيتين لا تأثير لهما على مقاربة تستهدف النظر إلى الشكل والصرح المشيد للدلالات.

وبالبحث في خاصية النظرية السردية (narrativité) نجد أنها ذات طابع بنيوي صرف وظفت في دائرة العمل النقدي، لتستهدف المقاربة الواصفة والتفاضلية والتحليلية للنصوص السردية، فبحسب مفهوم (ميك بال) : فهي الأسلوب أو الطريقة التي بها تفك شفرات النص، إذ يعتبرها "نظرية تهتم بمختلف أشكال المسرودات؛ سواء أكانت نصوصا أو أحداثا أو صورا أو قصصا، إنها النظرية المساعدة على فهم وتحليل كل المسرودات" [2] ما يعكس اتساع مجال اشتغال النظرية السردية لتشمل التشكيلات الفنية، ما دامت تحمل أبعادا سردية ثاوية، تترجم وفق تطبيقات منهجية محكمة، لتكشف عن بناء وأسلوب حامل للدلالة بخصوصيته

[1] -Ibid: ٣٣
[2]: انظر -

- Mieke Ball, Narratology introduction to the theory of narrative, University of Toronto, London, Seconde Edition,1997,P : 17

وتفرده، وعليه تكون السردية هي : العلم الذي يهتم بمظاهر الخطاب السردي، أسلوبا وبناء ودلالة[٣].

ولنقترب أكثر من هذه النظرية، يجب أن نبحث في منابتها وعن جدورها وفي كيفية بلورتها وإلى مدى امتداداتها، لأنها نظرية تطورت عبر مراحل وبمجهودات متضافرة انطلاقا من أبحاث الشكلانيين الروس على رأسهم (فلاديمير بروب) (1928/ 1968)، مرورا بإنجازات ثلة من البنيويين التي توجت بالاشتغال بعلم الدلالة بقيادة (غريماس).

ولعل أول سؤال يفرض نفسه في بنائنا لهذا الشق النظري، هو:-

*** ما هي السرديات؟**

السرديات أو النظرية السردية أو علم السرد (Narratologie)، هو العلم الذي يهتم ب:

أولاً – دراسة الطريقة الطبيعية التي يسلكها السرد لأداء وظائفه، لتحديد القدرة السردية أو السمة المشتركة بين كل أشكال السرد[٤] على مستوى القصة والخطاب والعلاقة بينهما، للوقوف على الفروق بينهما، محاولة وصف خصائص الكفاءة السردية، سيما الخصائص المشتركة لجميع أنواع الحكي، على مستوى القصة والخطاب وعلاقتهما، كما تسعى إلى تعليل القدرة على إنتاجهما وفهمهما.

ثانياً – دراسة الخطاب على أنه صيغة لعرض وقائع ومواقف متتابع زمنيا تماشيا ورؤية جنيت، وبهذا تقصي السرديات مستوى القصة في حد ذاته من دائرة اشتغالها، لأنها تبحث في طريقة بناء الحكي(الحبكة) لأن السرديات لا تحاول أن يضع نحوا للقصص، فهي تنظر للفروق الكائنة بين "القصة" و"الخطاب" و"الزمن السردي" و"النص السردي" بمعنى أنها تقف على مفارقات الزمن والصيغة والصوت بين القصة والنص السردي والسردية والقصة والتسريد (الخطاب)[٥].

ثالثاً – دراسة عينات من المسرودات وفق نماذج بلورها المهتمون بالمسرودات تبعا لمبادئ القصصي ودراسته[٦].التي تمتد بالسرديات إلى آفاق تتقاطع فيها مع حقول معرفية متبلورة عن البنيوية السوسيرية، وعن مقاربة النصوص، مما يسهم في فتح آفاق السرديات.

لقد اقترح (تودوروف) مصطلح السرديات (narratologie) سنة (١٩٦٧) للدلالة على علم جديد، مر من مراحل تذبذب فيها بين عدة مصطلحات، منها: نظرية

---

[٣] - عبد الله إبراهيم، السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي، منشورات المركز الثقافي العربي، بيروت، ط: ٢، ١٩٩٢، ص: ٩.

[٤]- جير الدبرنس، "المصطلح السردي"، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط، ١، ٢٠٠٣، الفصل التاسع، ص :١٠

[٥] - يان مانفريد، علم السرد (مدخل إلى نظرية السرد)، ترجمة: أماني أبو رحمة، دار نينوى، دمشق، ٢٠١١م، ص : ١٥ وما بعدها.

[٦] ينظر:

- A.-J. GREIMAS, *Les Acquis et les projets* J. COURTÉS, Préface to *Introd. à la sémiotique narrative et discursive*, Paris, Hachette, 1976, p.5).
- جيراد برنس، قاموس السرديات، ت: السيد إمام، ميريت للنشر، القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٣، ص – ص: ١٣٣- ١٣٤.

السرد، التحليل السردي، التحليل البنيوي للحكي، بوطيقا النثر، بوطيقا السرد، بوطيقا الحكي، نقد الرواية، التحليل اللساني للرواية، وأخرى أوسع مثل البويطيقا(Poétique) وعلم الأدب[٧]. وقد مر تطور هذه النظرية الجديدة من محطات بارزة، تلقحت فيها من حقول معرفية متنوعة، أبرزها الحقل المعرفي الشكلاني[٨]. الذي انطلق من إحداث قطيعة ابستيمولوجية مع التصورات الأدبية السابقة، وعن باقي الأجناس الأدبية، لعزله عنها باعتباره متفردا عنها، فانكبوا على دراسة ما يجعل من العمل عملا أدبيا[٩]، لأن موضوع علم الأدب ليس هو الأدب في حد ذاته، وإنما هو الأدبية (Littérarité)، فكان هذا الإجراء منعطفا مهما في مسار دراسة الأدب، مهد لبناء صرح نظري للنص الأدبي باعتباره بنية حرة ومستقلة بكيانها عن المتعاليات النصية. بدأت بالخطوة الأساس الأولى وهي : الإيمان بموت المؤلف بمعنى قطع الصلة بين النص ومؤلفه، من كل الجوانب النفسية والاجتماعية والتاريخية...، على أساس أن السرد(المسرود) حاضر في كل زمان ومكان[١٠]، فيكون بذلك مركز الاهتمام وموضوع الدراسات.

*** المجهودات الشكلانية والبنيوية**

صاغ (بروب) مجموعة من الفرضيات، شكلت المنطلق في دراسته للحكايات العجيبة، تأسست على:-

١- كل الحكايات ذات نمط واحد، من حيث البنية.[١١]

٢- تتابع الوظائف متطابق في كل الحكايات المدروسة.

٣- الوظائف التي تقوم بها الشخصيات، عناصر ثابتة في الحكاية، وتشكل أجزاء رئيسة فيها[١٢].

٤- عدد الوظائف في كل حكاية يظل محدودا.

وبعد الفحص سطر (بروب) مجموعة من النتائج، أهمها: إن عدد الوظائف في كل حكاية محدود فعلا، إن تتابعها متطابق من حيث البناء؛ فكل حكاية تقوم على متوالية أو متواليات سردية، بحسب المنطق المنتج للعقدة. وعلى عناصر مساعدة تعمل على الربط بين الوظائف. وبهذا يكون موضوع دراسة (بروب) هو رصد القوانين المتحكمة في بناء الحكاية

---

٧ - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط: ١، ٢٠١٠، ص: ٢٤٩

٨ - الشكلانية الروسية هي حركة نقدية ظهرت بين سنتي ١٩١٥و ١٩٣٠. تشكلت من حلقتين: حلقة موسكو للسانيات وحلقة بيتيرسبورغ (لينينغراد) لدراسة اللغة الشعرية أساسا. ومن أبرز رواد هذه الحركة: جاكبسون، وفلاديمير بروب وتينيانوف، وإيخنباوم، وتوماشيفسكي، وشكلوفسكي.
ينظر:
Tzvitan Todorov et Oswald Ducrot, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langue, p :110 -

9- ibid., p: 107

١٠ - ينظر:
-Roland Barth, Introduction à l'analyse structurale des récit, in l'analyse structurale des récit, Ed ;seuil, coll : points, p : 7

11 - Ibid, p :33

12 - Prop (V); Morphologie du conte, trad par : T . Todorov et autrs, Ed ;seuil, coll : points; p :31

الشعبية الروسية من حيث محتوياتها المشتركة وتحديد المنطق الداخلي الذي يحرك متوالياتها.

وضع (بروب) بعمله هذا الحجر الأساس الذي تأسست عليه النظرية السردية بمختلف اتجاهاتها، فرغم انشغاله بالمبنى الحكائي للحكاية، إلا أنه لم يهمل بنيتها السردية. فكانت صرخة للخروج عن المألوف، والاعتيادي في النص الأدبي، والارتقاء إلى جمالياته، وصرخة للبحث في بلاغة السرد، وإهمال المؤلف، الذي لا يعد إلا أداة منتجة للعمل الأدبي[١٣].

جدير بالذكر أن نشير إلى أن مجهودات الشكلانيين الروس ستكون اللبنة الأساس لأعمال البنيوية، وذلك بعد خمسينيات القرن الماضي، بعد أن ساهمت الترجمة إلى الفرنسية في انتشارها.

وقد تأثرت البنيوية في دراستها للنص الأدبي، بالمبادئ اللسانية التي عنيت بدراسة اللغة، اعتمادا على أعمال (دي سوسير)، والسؤال الذي يطرح نفسه وبشدة، هو:

إلى أي حد أثرت المبادئ اللسانية على النصوص الأدبية، وما علاقة ذلك بالنظام اللغوي الذي كان يهتم بالتشييد له، بلسانيات ما بعد الجملة، لمقاربة النصوص التي تتشكل من متوالية من الجمل، المحكومة بروابط وأنسجة لغوية ومنطقية ودلالية ؟.

عمل(دي سوسير) على إرساء أسس الأدبية (littérarité)[١٤] خلال الربع الأول من القرن ٢٠، لتكون لسانياته الإجراء الذي نهضت عليه البنيوية في امتدادها النظري؛ فبالرغم من أنه لم يوظف مصطلح بنية، وهو يبحث عن نسق اللغة، إلا أن كثيرا من الاتجاهات البنيوية الحديثة اقتبست من لسانياته[١٥]، لأن رؤيته للنص الأدبي على أنه نسق لغوي، تصريح واضح بتحرره من شرنقة الأجناس الأدبية، كما أن اشتغاله على الأنساق اللغوية وتأكيده على دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل لذاتها[١٦]؛ دراسة وصفية داخلية، كونها نسقا منتظما من العلاقات والعلامات الدالة يعد خطوة مهمة في مسار الفصل بين دراسة الأدب ودراسة تاريخ الأدب. إضافة إلى قوله باعتباطية اللغة اللفظية، واهتمامه بالسياق اللغوي الذي ترد فيه المفردات داخل محور استبدالي أفقيا وعموديا؛ أفقيا من حيث علاقتها ببعضها، وعموديا من حيث علاقتها بغيرها من المفردات التي تنتمي إلى حقلها الدلالي؛ لذلك صار النظام اللغوي عند البنيويين يتألف من علاقات داخلية وعلاقات خارجية[١٧]. والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو:

---

[١٣] - عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠، ص:٢٧ وما بعدها.

[14] - T . Todorov ;Théorie de la littérature, Ed . du Seuil, p : 37

[١٥] - محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي في ضوء المناهج الحديثة، إصدارات اتحاد الكتاب العرب، ط: ١ سنة: ٢٠٠٣،ص – ص: ١٣-١٤

[١٧] - عبد الحكيم سليمان المالكي، استنطاق النص الروائي: من السرديات والسيميائيات السردية إلى علم الأجناس الأدبية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، د.ط، ٢٠٠٨، ص: ٢٢.

*** كيف تم الاعتماد على البحث اللساني في النهوض بالدرس السردي؟**

ميز (دي سوسير) في اشتغاله اللساني بين ثلاثة مستويات في استعمال اللغة، وهي: اللغة واللسان والكلام، فالمستوى الأول هو التجلي الواسع للطاقة الإنسانية للكلام، أما الثاني فهو النظام اللغوي الذي يوظفه المرء لتوليد المحادثة مع الآخرين، والثالث (الكلام) فهو أقوالنا الخاصة[١٨]. واللغة من منظور (دي سوسير) هي: مجموع القواعد والقوانين المتواضع عليها والمتحكمة في آلية توظيفها بينما يبقى الكلام الشكل الإجرائي الفردي المجسد لتلك القواعد [١٩]. إنها نسق من البنيات المتداخلة التي تخضع لنظام معين ومحكم قابل للتطور والتجديد.

ومنه يُستخلص الجواب على السؤال المطروح إذ استَلهمت نظرية السرد أساسها من علم اللغة الحديث من خلال التحليل التزامني (الوصفي) لنظام اللغة، وكيفية تطورها من خلال تضاد العناصر الأساسية واتحادها عبر الفونيمات والمورفيمات والوحدات المشكلة للمعنى، التي تنظم وفق نسق مترابط.

تسعى نظرية السرد، من خلال ذلك، الإجابة عن سؤال جوهري هو:

كيف تعبر الجملة عن السرد؟ أو بعبارة أكثر دقة كيف ينبع السرد من النص السردي؟[٢٠].

وللإجابة عن هذا السؤال يجب أن نجري تقابلات بين مستوى القصة ومستوى الخطاب السردي باللغة والكلام، لنتبين ملامح التصور ونستوعبه جيدا.

فإذا تأملنا مستوى القصة سنجد أنه يقابل بحسب (دي سوسير) اللغة (langue) أو النسق (système)، أما الخطاب السردي – النص السردي وهو نظام الجمل والفقرات المتتالية – فهو يقابل بالكلام (parole)، ويشكل أيضا، وجها من وجوه الترتيب الزمني الذي يوجد في الخطاب باعتباره معيارا للترتيب الذي تقع فيه الأحداث حقيقة على مستوى القصة، ويقارب انطلاقا من رصد التغيرات التي تطرأ على مستوى سلسلة عناصر الحبكة (كبداية السرد من وسط الأحداث مع استرجاعات عديدة)، ويمكن مقارنته بتنويعات ترتيب الكلام، أو بتحويل الوحدة التامة من أجزاء من البنية العميقة إلى البنية السطحية.[٢١]

وبناء على أهم مبادئ علم السرد في ظل علم اللغة باعتباره مؤطرا لمظاهر النماذج السردية المنضبطة، لمبدأ الثنائيات الضدية؛ القصة مقابل الخطاب، والمتن في مقابل المبنى، والراوي في مقابل المروي له، فقد بلورت البنيوية الفرنسية جهودها للنهوض بعلم السرد من خلال أعمال كل من:(كلود بريمون C.Bremond) و(رولان بارث R.Barth)و(تيزفيتان تودوروف T.Tododrov)

[18] - Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, publie par: Charle Bally et autres, Edition critique préparée par Tullio de Mauro, 1997,p:25

[19] - Ibid., p :30-31

[٢٠] - مونيكا فلوديرنيك، مدخل إلى علم السرد، ت: باسم صالح حميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط :١، ٢٠١٢،ص: ٢٥

[٢١] - المرجع السابق، ص: ٢٦

و(الجيرالد كريماس (A.J.Greimas) و(جيرار جنيت (G.Genette).

(كلود بريمون C.Bremond) ومنطق الحكي[٢٢]

اهتم (كلود بريمون) بدراسة منطق الحكي؛ فقد رصد العلاقات المنطقية والقوانين المنظمة التي تحكم القصة من الداخل، وسعيا وراء ذلك، قام بوضع تحديدات أولية لمكونات المحكي، و منها:-

١- الذرة السردية (l'atome narratif)، وهي توافق الوظيفة (fonction) تماما كما اقترحها بروب (Propp)، في علاقتها بالأحداث والوقائع، التي تشكل مقاطع مترابطة تُكوّن محكيا.

٢- كل مقطع أولي (séquence élémentaire)، يتكون من ثلاث وظائف، تقابل المراحل الثلاث في كل إجراء:

١- وظيفة تفتح عملية الإجراء في شكل سلوك أو حدث متوقع.

٢- وظيفة تحقق الإمكانات في شكل سلوك أو حدث قيد التنفيذ.

٣- وظيفة تختم الإجراء في هيئة نتيجة محصلة[٢٣].

اعتمد (كلود بريمون C.Bremond) على مفهوم (بروب) للوظيفة، باعتبارها أصغر وحدة دلالية، تنم عن فعل شخصية معينة، وفق سيرورة دالة للحبكة. وأكد على ضرورة الانضباط لهذا المعيار، لبنينة (structuration) كل ملفوظ سردي، ومنه يبين بأن الوظيفة عنده لا تقتصر على ملفوظ الفعل (إساءة صراع انتصار) من غير فاعل ولا منفعل، بل إن وظيفة الفعل تتحدد من خلال اهتمامات شخصية ما أو من خلال مبادرتها بالفعل أو برد فعل، فتكون الشخصية إما فاعلة أو منفعلة[٢٤].

وقد استخلص (كلود بريمون) مجموعة من الملاحظات، من خلال تحليله للنموذج الوظيفي ل (بروب)، ستشكل دعامة لمنهجه فيما بعد، وهي كالآتي:-

١- الوظائف مستقلة عن الشخصيات، وتشكل عناصر الحكاية الشعبية.

٢- عدد الوظائف محدود في الحكاية الشعبية.

٣- متتالية الوظائف تظل دائما متماثلة.

٤- جميع الحكايات العجيبة تنتمي من حيث بنياتها إلى نمط واحد.

وقد أقر بغياب الوظائف المركزية انطلاقا من الملاحظتين الأخيرتين. ليعرض تصوره الخاص بالمتتالية الحكائية (séquence narrative) البسيطة من خلال تسطير القوانين التي تؤطرها، فلبلورة أي متتالية في الحكي لا بد أن من المرور من ثلاثة أطوار، وهي:

---

[٢٢] - قسم (كلود بريمون) كتابه " منطق الحكي" إلى جزأين؛ الأول جمع فيه المقالات التي كتبها ما بين سنتي ١٩٦٤ و١٩٧١، منتقدا فيها آراء (بروب) في مورفولوجيا الحكاية، والجزء الثاني عرض فيه للأدوار السردية الرئيسية باعتبارها حبكة الأحداث على مستوى الحكي. انظر:

- Claude Bremond, Logique du récit, Seuil 1973; P ;7 et 8

[23] - Claude Bremond, Le message narratif, in revue communications 4, p :21

[24] - Claude Bremond, Logique du récit, op.cit., P-P ; 131-134

١- وضعية (استفتاح) لإمكانية سلوك ما أو حدث ما.

٢- وضعية انتقال إلى بداية الفعل، يتخذ بسلوك محرك بالتحريض الذي تتضمنه الوضعية (الاستفتاح) الأولى.

٣- وضعية نهاية تتضمن الحدث الذي (يُنهي) مسار المتتالية إما بالنجاح أو بالفشل[٢٥].

والجديد الذي جاء به هو إقصاؤه للتنامي الخطّي الذي قال به (بروب) عن الحكي، ف(كلود بريمون) يضع احتمالات عديدة تدل على أن مسار الحكي لا يسير دائماً في اتجاه خطي واحد؛ وإنما يسير وفق اتجاه قد تتداخل فيه مسارات متعارضة. ويظهر هذا التصور جليا، في الحكي الذي يخرق أفق توقعات المتلقي.

أما عن (رولان بارث) فقد اهتم بدراسة الأدب معتمدا على مجهودات الشكلانيين، ليبني تصوره حول طبيعة النصوص السردية، وليعترف بمفهوم الوظيفة عند (بروب) بدلا من الحافز، ويظهر توجهه هذا من خلال عمله مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص[٢٦]، الذي عرض فيه لنموذج وصفي تطبيقي ينفتح على المبادئ اللسانية في تحليل السرد؛ فكما تخضع الجملة للمقاربة اللسانية والصوتية والصرفية والتركيبية فكذلك تكون القصة أيضا. وللاقتراب من نموذج (رولان بارث)، لا بد من الوقوف على أهم المبادئ التي ارتكز عليها:

لغة القصة (langue du récit) : يقاربها من خلال بعدين هما: -

البعد الأول: فيما وراء الجملة (Au-delà de la phrase):[٢٧] أي الانطلاق من الجملة؛ مدار اشتغال اللسانيات، إلى الملفوظ الذي تعتبر الجملة أصغر عناصره، وتتبع النسق الذي يوجه نظام الجملة ومستويات بنائها، وصولا إلى مستوى تحليل الأثر الأدبي، كونه خطابا ينهض على مستويات داخلية تتعالق وتتآزر فيما بينها لتنسجه، فللخطاب بنياته، وقوانينه. وهذا يعني أنه موضوع لسانيات من نوع آخر على الرغم من تركيبه من جمل فقط. وبناء عليه فإن مقاربة الخطاب لا تخرج من دائرة اللسانيات، ومن الطبيعي البحث عن العلاقات بين الجملة والخطاب، إلى المستوى الذي يكون فيه النسيج العام موجها ومتحكما في

[25]- C. Bremond, le message narrative, in revue communications 4, p:21

[26] - R. Barth, Introduction à l'analyse structural des récits. In communication, 1966, 8.

اهتم الباحثون بهذا العمل وعملوا على ترجمته إلى عدة ترجمات، انظر:

- رولان بارث: النقد البنيوي للحكاية، تر: أنطوان أبو زيد منشورات اعويدات، بيروت، ط، ١، سنة ١٩٨٨.
- رولان بارث: التحليل البنيوي للسرد، تر: حسن بحراوي، والبشير القمري، وعبد الحميد عقار، ضمن: طرائق السرد الأدبي. منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط:١، ١٩٩٢.
- رولان بارث: التحليل البنيوي للقصص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري ط: ١، ١٩٩٣.
- جون ستروك، البنيوية وما بعدها، من ليفي شتراوس إلى ديريدا، تر: محمد عصفور، عالم المعرفة: عدد:٢٠٦، سنة ١٩٩٦، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت، ص: ٧٥.

[27] - R. Barth, Introduction à l'analyse structural des récits. In communication, 8, p:3

آليات النسق السيميائية، انطلاقا من أن الجملة تشكل خطاباً صغيراً والخطاب يشكل جملة كبيرة.

البعد الثاني: مستويات المعنى (les niveaux de sens):

حددت اللسانيات تصورها حول التحليل البنيوي للمحكي؛ كونها تستهدف النظم الأساسية للمعنى، بالوقوف على كيفية تنظيمه، وتؤمن بأن المحكي ليس مجموعة بسيطة من العبارات، يجب تصنيف الوحدات التي تدخل في تركيبه. وبناء عليه نجد أن الجملة يمكن أن تقارب من خلال مستويات عديدة (صوتية ونحوية وسياقية)، تشتغل هذه المستويات وفق علاقة وميكنيزمات تراتبية، لأن لكل مستوى بنياته وآلياته وعلاقاته الخاصة، الأمر الذي يجعل كل مستوى من هذه المستويات يشتغل مستقلا بذاته وفي تفاعل مع المستويات الأخرى، لأن أي واحد منها لا يمكنه أن يشتغل لوحده في إنتاج الدلالة، فهذا الأخير لا يتحقق إلا بشرط التفاعل بين المستويات: فالظاهرة في ذاتها، لا تعني شيئا بالرغم من أنها قابلة للتحليل كليا؛ ولا تساهم في بناء المعنى الثاوي في الكلمة، وعلى الكلمة أن تنصهر في الجملة ليتحقق التفاعل المنتج للمعنى.

*** الوظائف(les fonctions)**

تعتبر الوظيفة من المصطلحات التي اقترحها (بروب) وعمل(رولان بارث) على تطوير اشتغالها في بنية النص السردي، باعتباره جملة كبيرة تتألف من وحدات متداخلة شبيهة بوحدات الجملة، تبرز وفق محددين؛ هما: المحددات الظاهرية للنص، وهي : الكلمات والجمل وكل ما يؤثثها من العلاقات الأسلوبية، والمحددات الداخلية، وهي: الأحداث والشخصيات والمواقف والأفكار والأحاديث...، وينهض النص بالتفاعل بين هذين المحددين، من خلال مستويات ثلاثة، هي: مستوى الوظائف، ومستوى الاعمال، ومستوى الإنشاء[٢٨].

وتعتبر هذه المستويات أصغر الوحدات التي يُقسم وفقها السرد وظائفه، ومن ثم فكل عنصر من عناصر النص في القصة إلا وله وظيفة معينة، تؤدي دلالات معينة، فحتى تلك الحيثيات الجزئية والتفاصيل الصغيرة والأوصاف العابرة تعتبر من العناصر المؤسسة والمؤثثة للبنية العامة للقصة. فأي كلمة أو جملة أو عبارة إلا وتعبر عن وحدة سردية دالة تضطلع بوظيفية معينة في القصة.

أما عن الوظائف عند (بارت) فهي نوعان[29]: –

١– وظيفة توزيعية(distributionnelles) : ترتبط هذه الوظيفة بوظائف أخرى داخل نفس المستوى، فيؤدي الحدث إلى حدث آخر، أو إلى سلوك معين (رد فعل)، فتنشأ في القصة علاقات متداخلة ومختلفة بين الوظائف.

٢– وظيفة إدماجية intégratives) : أو ما وسمه(بارت) بالقرائن(indices)، وهي تلك الوحدات الصغرى، التي تنهض كل وحدة منها بوظيفة دلالية رمزية إيحائية ترتبط بعناصر أخرى؛ وهي : الشخصيات و الزمان و المكان، كأن تصف إحدى القرائن الشخصية فيزيائيا، وأخرى تعكس قيمها أو حالتها النفسية أو الاجتماعي أو معتقداتها... وعليه فإن

[28]-R.Bart , Introduction à l'analyse structural des récits. In communication, 8, p:6

[29] - Ibid., p: 8

كل ما يتعلق بصفات الشخصيات وأخلاقها أو ميولاتها وأيديولوجياتها وأوضاعها، يعد من هذا النوع من القرائن، وهو ما وسمه (توماشفسكي) بالمتن الحكائي. وعلى الرغم من هذا التحديد يصعب في بعض الحالات تصنيف بعض الوظائف، بحيث تكون الوظيفة توزيعية؛ دالة على الأفعال وفي نفس الوقت تحمل دلالة الشكل أو الهيئة أو الصفة. ويرى (رولان بارت) أن النوع الأول من الوظائف قد يهيمن على بعض الأعمال القصصية مثل الحكايات الشعبية، ويطغى على بعضها الآخر النوع الثاني مثل روايات الشخصية والقصص السيكولوجية [٣٠] وهي ميزات تتفاضل فيها المسرودات عن بعضها البعض.

وتصنف الوظائف التوزيعية هي الأخرى إلى وحدات مركزية تعد لبنة الحكاية، ووحدات ثانوية مكملة، فتكون الوظيفة المركزية محور مجموعة من الوظائف الثانوية في النص، ويكمن الفرق بين الوظائف التوزيعية المركزية والوظائف التوزيعية الثانوية في أن الأولى تخضع لقانون الترابط المنطقي السببي، أما الثانية فيحكمها التعاقب أو التراكم لا غير.

أما الوظائف الإدماجية (القرائن) فيصنفها (بارث) بدورها إلى صنفين: صنف يخص الشخصيات فيعرض لأحاسيسها وصفاتها وطباعها...، وصنف آخر يركز على المحيط أي الوعاء المحتضن للأحداث وهو: الفضاءات الزمكانية .

وعليه نكون أمام أربعة أنواع من الوحدات الوظائفية: اثنتان توزيعيتان، واثنتان إدماجيتان. ويدرج (رولان بارت) هذه الوحدات في مسألتين هما: التتابع(consécution) والتلازم (conséquence)؛ التتابع يقوم على توالي الزمن خطيا، أي؛ وقع كذا فجرا ثم وقع كذا ظهرا...، أما التلازم فيقوم على الترابط المنطقي والسببي للأحداث فيقع الحدث نتيجة حدث مسبب له. ويشير إلى أن ظهور القرائن بمختلف أنواعها؛ الدالة على الأحاسيس والهيئات النفسية الداخلية، والدالة على الصفات الخارجية، والدالة على الأزمنة، لا يتأسس على تترابط سببي. أما الوظائف التوزيعية فإنها تترابط ترابطاً معيناً يتأسس على طبيعة العلاقة بين الوحدات[٣١] ووفق منطق منتج بناء.

وينهض التحليل الوظائفي عند (رولان بارت) على شبكة من الاستبدالات (un réseau de subrogations) وفق هرمية الوظائف المتداخلة (la pyramidale de fonctions)، وبتراتبية (hiérarchie) مضمنة على المستوى الوظائفي، فكل وظيفية مركزية يليها عدد من الوظائف المرتبطة بها، وعلى هذا الأساس تنسج بين الوحدات الوظائفية للنص شبكة متداخلة ومترابطة تشتغل على مستويين: مستوى يخص الأفعال ويكون تركيبا داخليا (syntaxe interne)، وآخر يتعلق بالأعمال والشخصيات، وفق تركيب استبدالي (syntaxe subrogeant) للمتواليات فيما بينها[٣٢].

30 - R.Barth, Introduction à l'analyse structural des récits. In communication, 8, p:٩

31 -Ibid , p:12

32 - Ibid, p : 14

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق، هو:-

*** كيف تتآلف الوحدات المختلفة داخل القصة؟ وما القانون الذي يؤطرها؟.**

وفي هذا الصدد يعول في تحليل الوحدات على نموذج وظيفي خاص، لا يقف عند حدود المعنى التقعيدي البسيط، بل يتعداه إلى مفهوم النموذج اللساني المضطلع بوصف الوظائف السردية، ومقاربتها بمختلف تجلياتها وأبعادها.

الأفعال (les actions): اعتمد (رولان بارث) في دراسته للأفعال بالأساس على مكونين اثنين هما:

المكون الأول:نحو وضع بنيوي للشخصيات(vers un statut structurale des personnages)، ويرى أن مفهوم الشخصية ظل ثانويا في الشعرية، ووظف في التحليل البنيوي، من خلال أعمال كل من (بروب) و(توماشيفسكي) على الشخصية، ثم توصل لثلاثة مقترحات، هي :

١- اقتراح (كلود بريمون) هو اعتبار الشخصية عامل متواليات الأفعال (l'agent de séquence d'actions) .

٢- اقتراح (تودوروف) ينهض على فكرة الانطلاق من العلاقات الثلاث التي تندمج فيها الشخصيات، وهي :(الحب والتواصل والمساعدة) وقد وسمها بمحمولات قاعدية(prédicats de base) ، وهي تنبني على نوعين من القواعد؛ قواعد الاشتقاق (dérivation)، وقواعد الفعل(acte).

لكن هذه العلاقات تعجز عن مقاربة كل المسرودات فلا يمكن تعميمها لأنها متعلقة بالمتن الذي اشتغل عليه (تودوروف) في (العلاقات الخطيرة les liaisons dangereuses) .

٣- اقتراح (غريماس) : ركز على عمل الشخصيات، مهملا سماتها، وعلى هذا الأساس تم وصفها بالعوامل[٣٣]. ففي تصوره التركيز على الأفعال أهم من التركيز على الشخصية، لأن الأهمية للفعل وليس للفاعل، لأنه "يمكن أن تجتمع شخصيات متعددة لتكون فاعلا واحدا، ويمكن للشخصية الواحدة أن تنطوي على أكثر من فاعل واحد، ويمكن للفاعل أن يكون شخصية أو شيئا أو فكرة أو قيمة. إن الفاعل يحدد تركيبيا من خلال الموقع الذي يحتله في التتابع المنطقي للسرد ويحدد بنائيا من خلال المحتوى الجيهي (modal) المخصوص الذي يضطلع به "[٣٤] في النهوض بالسرد.

المكون الثاني : الفاعل الذات (le problème du sujet) كما نعته (بارث) ومن خلاله يؤمن بقدرة نموذج (غريماس) العاملي لمقاربة مختلف أشكال المسرودات[٣٥].

ويظهر جليا أن مفهوم الفعل انبثق عن مفهوم الوظيفة عند (بروب) غير أن (غريماس) نظر إليه بشكل أقرب من اللسانيات وآليات تحليلها للجملة، أما عند (بارت) فقد اعتبره لبنة من اللبنات الأساسية التي تنهض عليها المسرودات، وأما عن الذات الفاعلة؛ فلا "تعتبر الذات في ملفوظ سردي ما فاعلة أو ذات فعل، إلا إذا حققت إنجازا، أو تحولا. فإذا قلنا مثلا (وهب السلطان العجوز مالا)، فإن العجوز هي

[33]- Ibid , p:16

[٣٤] - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص-ص: ٣٠٤- ٣٠٥.

[35] - R.Barth, Introduction à l'analyse structural des récits. In communication, 8, p :17

ذات حالة، كانت منفصلة عن موضوع هو المال فغدت متصلة به .أما السلطان فهو الذات الفاعلة أي تلك التي حققت التحول في علاقة العجوز بالمال"[٣٦]، عبر محور الرغبة.

السرد (la narration): يظهر في الاتصال السرديla communication) (narrative بين السارد والمسرود له، ويعتبر (رولان بارث) أن الشخصيات ما هي إلا كائنات كرتونية، وميز بين الراوي ومؤلف القصة اللذين لا يمكنهما أن يشتركان في أي شيء.

وقد ناقش (رولان بارث) حدود التحليل السردي في قضية "القصة"، مؤكدا على أنه إذا كانت اللسانيات تلتزم بالوقوف عند حدود الجمل، فإن تحليل القصة يتعدى ذلك ويمتد من خلاله إلى الخطاب. وعليه فإن أي تجاوز لهذا التحديد يرتقي بنا إلى مجالات وحقول أخرى مختلفة عن حدود التحليل السردي[٣٧]. ما يدفعنا إلى طرح تساؤلات تفرض نفسها وبشدة، وهي:

هل يعول على مبادئ التحليل السردي في تحليل القصة القرآنية؟ سيما في مقاربة مقارنة، أم يجب الارتقاء من مستوى الجملة إلى مستوى الخطاب، والانفتاح على حقول معرفية ترتبط بالتحليل السردي، مثل نظرية التلقي وتحليل الخطاب، لما لهذه القصة من خصوصية، تميزها عن باقي أشكال السرد ؟.

نظام السرد (le système du récit): ينهض نظام السرد على مفهومين، هما : "التمدد والاتساع" (distorsion et expansion)، و"المحاكاة والمعنى"(mimesis et sens).

١- المفهوم الأول قرنه (رولان بارث) بمفهوم " الانزياح" (l'écart) وهو مفهوم لساني أسلوبي اقتبسه من حقل البلاغة ليطبقه على السرد . فمثلما نجد "الانزياح" في اللغة نجده أيضا في السرد، ومن آلياته عند (بارت) "التشويق"؛ فهو أسلوب متميز من أساليب الانحراف عن المألوف، إذ يُفعل وظيفة الانتباه من جهة، ومن جهة أخرى يهدد أفق تطلعات القارئ بمنطق مبهم ليقدم له تهديدات عن طريق متوالية لم تكتمل بعد.[٣٨] تحفزه على الاستمرارية في مواصلة السرد.

٢- المفهوم الثاني وهو: "المحاكاة والمعنى" (mimesis et sens)[39] فهو ينبني على نسج وتوليف (l'intégration) الوحدات السردية، وفق نظام تنضبط له رغما عنها لتؤسس للوظيفة الدلالية التي تتضمنها العناصر السردية، إنه تصريح واضح بضرورة الارتقاء إلى مستوى البنية العميقة للسرد، وتجاوز واقعيته ومستواه البنيوي السطحي.

يتبين من خلال ما سبق أن التحليل البنيوي للسرد عند (بارث) يرتكز بالأساس على مستوى الوظائف بكل أصنافها، والأفعال والسرد، من خلال رؤيته الخاصة التي تدعو إلى لسانيات ما وراء الجملة، اللسانيات الخطابية التي تمكن من دراسة الخطاب السردي من خلال البحث في بنياته ومختلفة العلاقات الكائنة بينها، لترتقي به إلى المستوى الدلالي، الذي سيتأسس مع (غريماس).

[٣٦] - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص: ١٩٣

[37] - R. Barth, Introduction à l'analyse structural des récits. In communication, 8, p : 18

[38] - Ibid., p :23

[39]-Ibid., p :٢٥

*** الاتجاه الدلالي**

يعود الفضل في تأسيس مدرسة باريس السيميائية؛ لغريماس، من خلال مؤلفه الدلالة البنيوية (Sémantique structurale)، حيث يعتبر دعامة أساس لهذا الاتجاه، إلى جانب مؤلفه المعنى ١و٢، (Du sens)، ومعجمه الشهير(Dictionnaire raisonné de la théorie du langue). ومن رواد هذه المدرسة نجد: (جوزيف كورتيس) و(ميشال أريفي) و(جان كلود كوكي) الذين اهتموا بالمدلول في الدرس اللساني، أي المعنى أو الدلالة والقواعد المتحكمة في توليد النصوص وتجلياتها النصية.

وقد اشتغل غريماس في مؤلفه الأول على تحديد أبعاد رؤيته، انطلاقا من نقد اتجاه (فلاديمير بروب)، لتنهض هذه المدرسة على التنظير للمعنى بشكل يستوعب مقاربة مختلف أنواع الخطابات، عن طريق التدقيق في المبادئ المتحكمة في تحريك الدلالة في الخطاب، ودراسة الوحدات الخطابية للملفوظ في ذاته، وإهمال كل العناصر الخارجية المتعلقة به؛ ومقاربته باعتباره نسقا مبنينا وفق نظام محكم، لتحديد مستويات الوصف لكل عنصر، وضبط قواعد اشتغالها.

إن الهدف الذي رسمه (غريماس) من تناوله للنصوص، هو البحث في المحددات الداخلية للمعنى، ليجيب عن سؤال: كيف يعبر النص عما يقوله؟ لا ماذا يقول هذا النص؟ أو من يقول هذا النص؟ [٤٠]، إنه انتقال إلى السؤال عن الكيفية.

والسؤال الملح هنا هو: ما هي الطريقة التي اقترحها (غريماس) لمقاربة ودراسة وتحليل النصوص السردية؟

تقوم دراسة النص السردي، عند (غريماس)، على مستويين؛ سطحي وعميق، وينقسم كل واحد منهما إلى قسمين[٤١].

المستوى الأول، البنية السطحية: يضم هذا المستوى تركيبتين:-

١- تركيبة سردية : تهتم برصد التوالي والترابط الخاص بتطور حالات الشخصيات، وذلك من خلال التطبيق على المكون السردي الذي يعمل على تنظيم تتابع حالات الشخصيات وتطوراتها، لهذا فمن الضروري تفكيك وتجزيئ البنيات السردية لكونها عبارة عن مجموعة من الحالات والتقلبات التي تعتري الشخوص في مسار الأدوار التي تلعبها سعيا نحو التحويل الذي يتم عبر سيرورة تطور بنية النص الداخلية؛ انطلاقا من الوضعية الأولية(Etat initial) وصولا إلى الوضعية النهائية (Etat final) التي تسجل الاتصال أو الانفصال عن موضوع القيمة(Objet de valeur) للتمكن من الميكانيزمات الدلالية.

٢- تركيبة الدلالة السردية: تنهض على رصد الصلات المتعلقة بالأوجه ومؤسسات المعنى داخل النص، ويتأتى من خلال الاشتغال على المكون الخطابي الذي يوجه تسلسل المعنى وآثاره، ويهتم بتحديد شكل توزيع الوضعيات والأحداث والتقلبات داخل الخطاب، باعتبار أن النص هو سلسلة من

40- Groupe d'entrevernes, Analyse sémiotiques des textes, Ed.PUL,p:7

41 :ينظر: - - Groupe d'entrevernes,Op, Cit, P:8

- سعيد بنكراد السيميائيات السردية، مدخل نظري، منشورات الزمن، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص-ص:٦٨-٦٩

- سعيد بوعيطة، المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية، جريماس نموذجا، مقال ضمن مجلة سمات، عدد: ١ ، ماي ٢٠١٣.

الحالات والتحولات، تؤسس للدلالة انطلاقا من تصنيف للملفوظات السردية باعتبارها أصغر الوحدات الخطابية المؤسسة للنص السردي.

المستوى الثاني، البنية العميقة : تتألف من "البنية السردية التجريدية الأساسية للسرد، وهي اللبنة الكلية التي تتبلور انطلاقا من محددات تركيبية ودلالية شمولية توجه دلالة السرد، لتطفو على المستوى السطحي عبر مجموعة من السيرورات، وفي تصور غريماس للسرد، نجد أن العوامل والعلاقات العاملية هي وحدات البنية العميقة، يقابلها على مستوى البنية السطحية الممثلين والعلاقات التمثيلية، وعلى هذا الأساس ستكون البنية العميقة مقابلة للقصة والبنية السطحية مقابلة للخطاب."[٤٢]، وقد جاء هذان المستويان: السطحي والعميق، كبديل لوظائف (بروب)[٤٣] على مستوى البعد التطبيقي للنموذج العاملي(le modèle actantiel) الذي اقترحه (غريماس).

اعتمد (غريماس) في بناء صرح تصوره على التصورات اللسانية لكل من (يمسليف) و(دي سوسير)، اهتماما منه بالمعنى والدلالة، وهذا يدل على أن الدرس السيميوطيقي ينهض على المتن أو المحتوى أكثر من المبنى، مع تعليل محددات الإمساك بالمعنى وبالبنية المؤسسة للدلالة[٤٤] .

وهذا هو ما ذهب إليه (كورتيس) عندما ارتأى أن المعنى الواحد يمكن أن يُعبر عنه بدوال مختلفة، وأن الحكي باعتباره وقوع أمر ما، يتجلى عبر التحول من حالة إلى أخرى[٤٥]، وفق سيرورة من العمليات.

ومنه يتبين أن الاشتغال على المضمون السردي يمكن أن يتحقق بمعزل عن الخطاب، من خلال فحص طريقة بنائه وطبيعته، وقد أكد (كورتيس) على اشتغال عنصرين مترابطين على مستوى المضمون، هما :-

١- المكون النحوي: composante) (grammaticale، يعمل على تركيب الملفوظات الحكائية وتسلسلها .

٢- المكون الدلالي:(composante sémantique) ، يكشف عن نظام الشكل الداخلي للمحتوى.[٤٦]

---

[٤٢] - جيرالد برنس، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، الأولى، ٢٠٠٣، ص: ٥٦

[٤٣] - ينظر:

Greimas(Aj),Sémantique structurale, recherche de méthode .Larousse , 1966, P:180-

- سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، ص: ٨٨ وما بعدها.

[٤٣] - نجمل أعماله كما يلي:

-(Figures) أول مؤلف ل (جينت) أصدره عام ١٩٦٦، وهو عبارة عن دراسة أدبية تهتم بضبط المفاهيم ورصد الأبعاد الجمالية للنص الأدبي.

- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص:٤٢٧.

- عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص الروائي: مقاربة نظرية، مطبعة الأمنية، الرباط ١٩٩٩، ص:١٠٩ و ما بعدها.

44- A.J Greimas, Du sens , essai sémiotique, Seuil 1970, P: 160

45 - J. Courtés, Analyse sémiotique des discours, Hachette, 1991, P : 62 ; 70.

46- J. Courtés, Introduction à la sémiotique narrative et discursive ,op.cit. ; P :41

إن اختيار (غريماس)، للبنيات الداخلية المكونة للنص السردي، والبحث في مختلف الوجوه الدلالية المولدة والمتحكمة في العمليات والتحويلات التي تصنع القصة، يعد دعامة لإرساء تيار سردي دلالي، على حساب دراسة الخطاب، ليغدو مركز اهتمام مجموعة من الدراسات.

*** الاتجاه الخطابي**

يعتبر (جيرار جينت) أبرز أعلام هذا الاتجاه في مقاربة النصوص السردية؛ فمؤلفاته[٤٧] تعد أساسا نظريا مهما في النقد الجديد لدراسة النصوص السردية في فرنسا، لأنها تطرح القواعد الثابتة لمقاربة البنيات المجردة المتحكمة في بناء صروحها.

ويعد مؤلفه " خطاب الحكاية" ١٩٧٢، المعروف ب" أوجه ٠٣"،_(Figures III)– (Discours du récit, essai de méthode و"خطاب الحكاية الجديد " ١٩٨٣(Nouveau discours du récit) ركيزة نظرية تؤسس للنظرية السردية (Théorie Narratologique). وقد انطلق (جينيت) في بناء تصوره النظري لنظرية السرد، وتطبيقاته العملية على الحكاية (récit)، من تحديد ثلاثة مداخل للبحث في مكونات النص السردي، في مقالة "حدود القصة/ الحكي (Frontières du Rècit-1966)، وهي:

١- المحاكاة والحكي التام (Diègèsis et mimèsis) .

٢- السرد والوصف (Narratio et description).

٣- القصة والخطاب (Récit et discours).

اولاً: المحاكاة والحكي التام. (Diègèsis et mimèsis)

اعتمد (جينيت) في بناء المدخل الأول على آراء كل من أفلاطون وأرسطو حول المحاكاة، فقد ذكر أن أرسطو لما

- "أشكال ١" عام ١٩٦٦، و"أشكال "II عام ١٩٦٩، و"أشكال "III عام ١٩٧٢، و"أشكال "IV عام ١٩٩٩. ناقش فيها أسئلة الماهية التي انطلق منها أفلاطون، حول النظام الأنطولوجي المعرفي للغة إيمائيات (Mimologies 1976)، مركزا على علاقة الكلمات بالأشياء.
- مدخل لجامع النص (النص الجامع (١٩٧٩ - Introduction a l'architexte)، اشتغل فيه (جنيت) على المبدأ الأفلاطوني في مقاربة الشعر، ومفهوم المحاكاة التي صنف على أساسها الشعر إلى غنائي وملحمي. وجدد في رؤية أفلاطون للشعر، ليخلص إلى أن مدار الشعرية ليس النص، وإنما محددات النص (l' architexte) أي القواعد والمقولات المؤسسة لخصوصية كل نص.
- خطاب الحكاية الجديد-(Nouveau discours du roman 1983): عمل فيه على إعادة صياغة المفاهيم العامة التي قدمها في كتب الأشكال، بناء على الملاحظات النقدية التي وجهت للكتاب سيما تلك التي تخص الجانب الإجرائي لمقاربة النص السردي.

- عتبات :(Seuils-1987) يعكس هذا المؤلف مرحلة نضج النقد البنيوي، انتقل فيه جنيت لدراسة ما وسمه بـ "عتبات النص" أو ما يعرف بالمتعاليات النصية.
- من الشكل إلى التخييل(٢٠٠٤ *Métalepse. De la figure à la fiction*)، عالج دور السرد في تفعيل مخيلة القارئ. وعلى الجانب العجائبي للمتخيل "الميتاليبس".

ينظر: - عمر عيلان ، مستويات السرد عند (جيرار جينيت،) مقال منشور بالموقع الالكتروني: www.startimes.com

- (جيرار جينيت)، من النص إلى العمل، تر: غسان السيد، ضمن: من البنيوية إلى الشعرية، دار نينوى ، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص: ٥٧ وما بعدها، والنص مقتطف من أشكال ٤ الصادر سنة ١٩٩٩، بدار (سوي) باريس، و يشير المترجم إلى أن هذا النص يعود إلى محاضرة في البيت الفرنسي، جامعة نيويورك ، ١٩٩٧، ص: ٥٧.

تناول القصة (Diègésis) في مؤلفه "الشعرية " (Poétique)صنفها إلى صنفين؛ هما : المحاكاة الشعرية (mimesis)، والعرض الممثلين المباشر للأحداث، ليكون قد صنف الشعر إلى : الشعر السردي القصصي الملحمي (Poésie narrative)، والشعر التمثيلي (Dramatique)وهي نفسها التصورات التي طرحها أفلاطون، حيث صنف القراءة في القسم الثالث من مؤلفه "الجمهورية" لطريقتين من القراءة (Lexies) هما: المحاكاة التامة(mimesis) ، والحكي البسيط(Diègèsis) : ما يرويه الشاعر بنفسه. والطريقة الملحمية التي يشترك فيها السرد مع التمثيل[٤٨].

ومنه توصل (جينيت) إلى أن الطريقة المثلى لعرض الأحداث هي القصة، سواء اعتمدت مقاطع أدائية أم لا، لأن العنصر الأساس هو السرد [٤٩].

ثانياً:السرد والوصف(Narration et description)

يعد نقد النظريتين الأفلاطونية والأرسطية للمحاكاة رؤية جديدة للقصة تتأسست على الحكاية (Diegese)، لعرض وسرد الأحداث والأفعال، وهو ما يسمى بالسرد(Narration) ، بناء على عرض الشخصيات والأشياء، أي ما يسمى بـــ "الوصف (la description".

وعليه فالسرد والوصف هما دعامتان أساسيتان لبناء النصوص السردية، فهذه الأخيرة لا يمكن أن تنهض دون وصف، فكيفما كان طابعها الإخباري جافا إلا ويحتاج للوصف باعتباره آلية أساس تحضر لتنهض بالأفعال والأحداث والشخصيات والأشياء، وقد نجزم أن الوصف أكثر أهمية وهيمنة على السرد، ومن النماذج الدالة على ذلك النصوص السردية للقرن ١٩ التي كانت تفتتح بمقدمات وصفية طويلة ؛ لأنه بإمكاننا أن نصف دون أن نسرد، غير أنه من المستحيل أن نسرد من دون أن نصف[٥٠]. ومن ثم يضطلع الوصف بوظيفتين مركزيتين في السرد، هما:

١- وظيفة تزيينية (fonction décoratif) :أو ما يسمى ب"الوصف الخالص" وهي من مكنونات البلاغة القديمة، التي تدرج الوصف في قائمة آليات الأسلوبية. وهذه الوظيفة تضفي على النصوص السردية لمسة جمالية.

٢- وظيفة تفسيرية ورمزية explicatif et fonction symbolique)[٥١] ينهض الوصف بهذه الوظيفة، عندما يسعى السرد إلى تقريب المتلقي من ملامح الشخصيات ونفسياتها أو وصف الأشياء أو الأماكن... فيلعب الوصف هنا دورا تفسيريا، ومن ثم يدعم الوصف الرمزي والتفسيري آلية السردية ويعززها، مما يزيد من وثيرة إنتاج متواليات السرد لأكثر من دلالة.

ومن بين نقاط المفارقات بين السرد والوصف مفارقة الزمن؛ إذ إن ارتباط السرد بالأفعال أو الأحداث(actions ou événements) يجعله متصلا بمقولة الزمن لتمتد عبر آلياتها، أما الوصف فيكبح الزمن، ليقدم الشخصيات والأشياء بطريقة تزامنية (simultanéité)،

48 -Gérard Genette, Frontières de récit , in communication 8, p:152 - 153

49 -Ibid, p:15٥

50 -Gérard Genette, Figures 2,Ed, seuil, 1969 , p : 57

51 - Gérard Genette, Frontières de récit, in communication 8 , p: 157

ومن ثم نكون أمام شكلين خطابين ؛ الأول (السرد) إجرائي عملي (active) ،والثاني (الوصف) تأملي (contemplative) و هما شكلان يتآزران لعرض القصة[٥٢] بشكل متكامل.

ثالثاً: القصة والخطاب (Rècit et discours)

ميز الشكلانيون الروس بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي؛ فالأول هو: المادة الأولية للحكاية؛ وهي مجموعة الأحداث المترابطة فيما بينها، أما الثاني فيعكس تراتبية ظهور الأحداث على مستوى الحكي ذاته [٥٣]، وقد جاء هذا التمييز نتيجة تنظيرية لتصنيفات كل من (تودوروف) و(جينيت) في اشتغالهما على المقاربة السردية. وقد ميز (جينيت) بين السرد والخطاب، من خلال التمييز بين أزمنة الفعل، فوقف على زمن الحكاية (Histoire) وزمن الخطاب .(Discours) معتبرا الخطاب ملفوظا موجها من مرسل إلى متلقي بغرض التأثير [٥٤] من خلال توظيف الضمائر مثل أنا وأنت...، وظروف الزمان مثل الآن والبارحة وغدا واليوم ...، أما الحكاية فزمنها ماض قطعا، تقوم دائما على ضمير الغائب.

وقد توصل (جينيت) من خلال اشتغاله على هذه المفارقات إلى نتيجة مفادها أن الخطاب يمكن أن يتضمن مقاطع سردية تفرضها طبيعته؛ عكس السرد الذي يتميز بصفة القص(التعاقب)، فالقصة لا تقوم، بذلك، على صيغة الزمن الحاضر وضمير المتكلم[55] .

ومن ثم فإن التمييز بين القصة والخطاب يشكل تحديا على مستوى جميع أشكال المسرودات، استنادا إلى الصيغة (mode) السردية التي يعتمدها الكاتب، والتي قد تضطلع فيها شخصية ما بوظيفة عرض وسرد الأحداث[٥٦] .

وقد عمل (جينيت) على محاولة استخلاص المفاهيم الكلية المسعفة في مقاربة مختلف أشكال الخطاب السردي، في كتابه "خطاب القصة (Discours du récit) "، من خلال دراسة تحليلية منهجية لرواية (مارسيل بروست M .Proust) (بحثا عن الزمن الضائع la à) (recherché du temps perdu. ليؤسس بذلك لنحو التحليل السردي، فقد عمل على ضبط مصطلح الحكاية، ليميز بين القصة باعتبارها أحداثا ذات سيرورة متتالية، تسير وفق البعد الزمني المنطقي الطبيعي، مضمنة بخطاب شفوي أو مكتوب ينهض على رواية حدث أو مجموعة من الأحداث. وبين الخطاب الذي يشكل الطريقة التي تسرد بها هذه الأحداث من طرف السارد، فتظهر العلاقة بين الخطاب والأحداث التي تروى، وتنجلي الممارسة السردية باعتبارها فعلا منتجا قد يتباين بين ساردين أو أكثر لنفس المضمون الحدثي(القصة) وفق سلم الإبداع : فتتأسس العلاقة بين

---

52 - Gérard Genette, Frontières de récit , in communication 8 , p:١٥٨

٥٣ - إبراهيم الخطيب، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط: ١، ١٩٨٣، ص: ١٨٠

54 - Emile Benveniste: Problèmes de linguistique Gènèrale, op,Cit, P-P 201-202.

55 - G.Genette: Figure ll. P, 66.
- G.Genette: Frontière du Récit Communication n: 08. P,١٦٢

56 - Ibid. P, 16٢.

الخطاب والفعل الذي أخرجه.

وللكشف عن هذه المفارقات اعتمد (جينيت) على نموذج تطبيقي بسيط، ليؤسس لنحو الحكاية باعتبارها موضوع تطبيق مقولاته، وعليه نهض المنهج البوطيقي لدراسة الحكاية من خلال رصد العلاقات بين القصة والخطاب بالاحتكام لمقولة الزمن من جهة، وأشكال التمثيل السردي من جهة أخرى انطلاقا من مقولة الصيغة، وكذا النحو الذي تنهض به القصة من خلال مقولة الصوت.

وقد عرض (جينيت) للمفاهيم الآتية:-

١- القصة (histoire): عبارة عن محتوى سردي ينهض بخطاب شفوي أو مكتوب، ينظم للعلاقات بين مجموعة من الأحداث. ويعد هذا المعنى أكثر انتشارا (plus répandu).

٢- الحكاية (Récit): هي عبارة عن مجموعة من الأحداث الواقعية (réels) أو المتخيلة (fictifs) المتتابعة وفق نظام من العلاقات المتعددة، كالتتالي (enchainement) أو التعارض (opposition) أو التكرار(répétition) .

٣- السرد.(Narration) : يشكل الإجراء الفعلي والعملي لفعل الحكي، فهو ممارسة فعل القص[٥٧].

انطلاقا من هذه الموجهات أسس (جينيت) رؤيته الجديدة حول دراسة النص السردي، من خلال الوقوف على المفارقات الكائنة بين القصة والحكاية، وبين القصة والسرد، وبين السرد والحكاية[٥٨]. وقد انطلق (جينيت) في تطبيقاته من تصنيف (تودوروف) لطرائق الخطاب [٥٩]. فتوصل لمقولات، شكلت أساسا نظريا لتحليل الخطابات السردية، وهي مقولة الزمن (temps) ومقولة الصيغة (mode)، لرصد العلاقة بين الحكاية والقصة، ومقولة الصوت السردي (voix narratif) لرصد العلاقة بين الحكاية والسرد.

وبهذا تكون نظرية السرديات (narratologie)، هي النظرية المسعفة في تحليل كل أشكال المسرودات، والمواكبة لتطور أشكال الخطاب السردي، باعتبارها حقلا معرفيا يحلل آليات وميكانيزمات المسرودات.

وقد أسهمت هذه التصورات في بلورة اتجاهين سرديين ؛ هما : اتجاه السيميائيات السردية، واتجاه السرديات اللسانية أوالخطابية.

*** السيميائيات السردية (la sémiologie narrative)**

وهو الاتجاه السردي الدلالي، من بين رواده (بروب)، و(بريمون)،و(غريماس) الذي أسس قواعده معتمدا على مجهودات سابقيه، على رأسهم (يمسليف) الذين اهتم

57 - G.Genette: Figures iii p: 71.

58 -Ibid., p: ٧٤.

٥٩- - اقترح (تودوروف) تقسيما لأشكال الخطاب وفق ثلاثة عناصر، وهي: العنصر الأول: زمن السرد(temps du récit) وقف من خلاله على المفارقات زمنية بين القصة والخطاب، العنصر الثاني : أنماط السرد (les aspects du récit) وهي الرؤية أو الجهة؛ أي الكيفية التي تدرك بها القصة من طرف السارد، والعنصر الثالث صيغ السرد (les modes du récit) ؛ أي شكل الخطاب الذي وظفه السارد لعرض القصة.

انظر:

-T. Todorov ; Les catégories du récit, in communication 8, p : 139- 144

بالمحتوى السردي بناء على طريقة التقسيم الرباعي للدال والمدلول : شكل التعبير(forme de l'expression) وشكل المحتوى (forme de contenu) وجوهر التعبير (substance de l'expression) وجوهر المحتوى"[٦٠]. فباعتبار أن القصة/المحتوى، يمكن أن تروى بلغات مختلفة، دون أن تتغير من حيث الجوهر"[٦١]، فإن التقاط وبناء المعاني أو الدلالات هو ديدن التحليل السيميائي السردي.

لقد اعتمد (غريماس) في بحثه عن الدلالة والمعنى، على مقترحات (بروب) الوظائفية بغية تطويرها، انطلاقا من مفهوم السردية (narrativité) التي اعتبرها "مداهمة اللا متواصل في المنجز الخطابي عند تقديم قصة أو عرض لحياة فرد، أو ثقافة، وفق حالات متضمنة لعدد من التحويلات، فتصير السردية ملفوظات للفعل تصيب ملفوظات الحالة، مما يضمن للفواعل وجودها السيميائي في صلتها بموضوعات القيمة"[٦٢]، فالسردية من منظوره هي التمييز بين ما هو متواصل في آلية الزمن وبين ما هو متحقق على مستوى الخطاب.

ولما كان مجال السيميائيات يوفر عُدة مفاهيمية تبحث في المعاني والمسارات الدلالية للقصة في سياق أشمل من سياق التواصل الذي قوامه باعث ومتلقي[٦٣]. كان التحليل السردي للخطاب من اختصاصها، سيما وأن طبيعة هذه المقاربات الدلالية التي تلامس عدة مستويات لا تتحقق إلا بتعاضد عدة آليات. فتغدو الإمساك بالدلالة الأدبية وتحريرها من النمطية إلى وفق تحليل علمي رسين موضوع هذا الاتجاه.

*** السرديات الخطابية : (narratologie discursive)**

ينهض هذا الاتجاه على تحليل مظاهر الخطاب وأساليبه السردية، ورواته، وفحص العلاقات الكائنة بين السارد والمسرود له بحثا في الأهداف والأثر، ومقاربة السرد باعتباره منتوجا فنيا أو جماليا، اهتماما منها بمستوى الخطاب السردي، أو المستوى التعبيري، فتكون ذات منطلقات متكاملة أدبية وبلاغية وجمالية بويطيقية[٦٤]. ومن أبرز رواد هذا الاتجاه، (تودوروف) الذي اهتم بدراسة قصص الديكاميرون، و(جينيت) الذي اهتم بتحليل الخطاب السردي لرواية "بروست".

ولما كانت السردية الخطابية جوهر هذا الاتجاه، فرضت طبيعة المقاربة بالضرورة الانفتاح على علوم أدبية مختلفة، مثل السيميائيات والبلاغة الجديدة. مما أسهم في بلورة اتجاه ثالث، وهو: الاتجاه التوليفي.

60- J. Courtés, Introduction à la sémiotique narrative et discursive, op, Cite; P :41

61- J. Courtés, Introduction à la sémiotique narrative et discursive, P :38

62- A.J . Greimas, Un problème de sémiotique narrative, les objets de valeurs, in Languages 31, p: 20

63- J. Courtés, Introduction à la sémiotique narrative et discursive, 1976 ; P :24-25(préface de A.J. Greimas).

٦٤ - يقطين سعيد، الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧، ص: ٣٠

*** الاتجاه التوليفي**

حاول التوليف بين السيمائيات السردية والسردية الخطابية؛ وهما الاتجاهان اللذان عرفا باتجاه (الماذا)؛ ماذا يسرد؟ (المحتوى)، واتجاه (الكيف)؛ كيف يسرد؟ (الأسلوب أو الطريقة أو الكيفية)، سيما وأن موضوع الدلالة ملازم لمستوى القصة ولازم لمستوى الخطاب، ومنه فلا يمكن البحث في العمل السردي دون الوقوف على ملامح الخطاب. ومن بين رواده نجد : شاتمان(Seymour Chatman 1978) [65] وجيرالد برنس (Gerald prince1982)[٦٦].

*** الخاتمة**

ويمكننا أن نجمل الاتجاهات السردية في الخطاطة التوضيحية الآتية:-

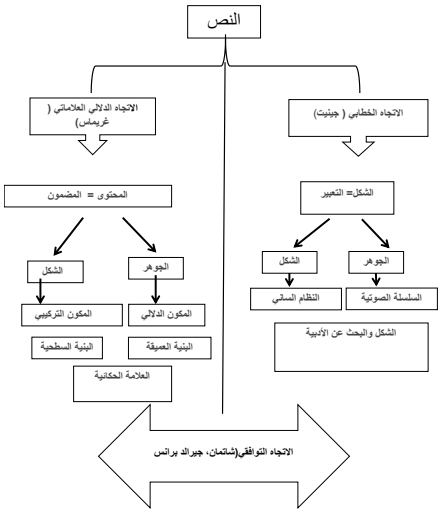

من خلال تتبعنا لمراحل تطور ونضوج النظرية السردية انطلاقا من المنابت وجدور امتدادا إلى الاتجاهات وامتدادات، نكون قد عرضنا لمختلف المقومات السردية الثابتة، على مستوى المحتوى وعلى مستوى الخطاب، وعلى مستوى المراوحة بينهما في التحليل السردي، ليكون الاشتغال بهذا التوجه الأخير هو الخيار الأمثل الذي يمثل السرديات بشكل عام وبمختلف توجهاتها، كونها لا تقف عند حدود البحث في الخطاب السردي وآلياته، بل تتجاوزه بالانفتاح على حقول معرفية متنوعة ومختلفة؛ من بينها: السيميائية وتحليل الخطاب وعلم النص والأسلوبية ... ليبقى السؤال الجوهري هو ما مدى قدرة الآليات السردية في الإمساك بالدلالات في مختلف المتواليات السردية للمتون السردية المدروسة؟.

*** المراجع**

اولاً- المراجع العربية

إبراهيم الخطيب، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط: ١، ١٩٨٣.

جون ستروك، البنيوية وما بعدها، من ليفي شتراوس إلى ديريدا، تر: محمد عصفور، عالم المعرفة: عدد:٢٠٦، سنة ١٩٩٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

65 - Seymour Chatman, Story and Discourse : Narrative Structure in Fiction and Film, Cornell University Press, London

66- Narratology The Form and Functioning of Narrative , Mouton, Berlin,1982.

- ينظر:ميجان الرويلي و سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ص:١٧٦.
- (جيرار جينيت) وآخرون، نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى ص: ٩٧.

جير الدبرنس، "المصطلح السردي"، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط، ١، ٢٠٠٣، الفصل التاسع.

جيرار جينيت وآخرون، نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى.

جيرالد برنس، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، الأولى، ٢٠٠٣.

التحليل البنيوي للسرد، تر: حسن بحراوي، والبشير القمري، وعبد الحميد عقار، ضمن: طرائق السرد الأدبي. منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط:١، ١٩٩٢.

التحليل البنيوي للقصص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري ط: ١، ١٩٩٣.

النقد البنيوي للحكاية، تر: أنطوان أبو زيد منشورات اعويدات، بيروت، ط، ١، سنة ١٩٨٨.

سعيد بنكراد السيميائيات السردية، مدخل نظري، منشورات الزمن، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

سعيد بوعيطة، المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية، جريماس نموذجا، مقال ضمن مجلة سمات، عدد: ١، ماي ٢٠١٣.

عبد الحكيم سليمان المالكي، استنطاق النص الروائي: من السرديات والسيميائيات السردية إلى علم الأجناس الأدبية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، د.ط، ٢٠٠٨.

عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص الروائي: مقاربة نظرية، مطبعة الأمنية، الرباط ١٩٩٩.

عبد الله إبراهيم، السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي، منشورات المركز الثقافي العربي، بيروت، ط: ٢، ١٩٩٢.

عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.

محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط: ١، ٢٠١٠.

محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي في ضوء المناهج الحديثة، إصدارات اتحاد الكناب العرب، ط: ١ سنة: ٢٠٠٣.

مونيكا فلوديرنيك، مدخل إلى علم السرد، ت: باسم صالح حميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط :١، ٢٠١٢.

ميجان الرويلي وسعد اليازغي، دليل الناقد الأدبي.

يان مانفريد، علم السرد (مدخل إلى نظرية السرد)، ترجمة: أماني أبو رحمة، دار نينوى، دمشق، ٢٠١١م.

يقطين سعيد، الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

ثانياً– المراجع الأجنبية

Ball (Mieke), Narratology introduction to the theory of narrative, University of Toronto, London, Seconde Edition,1997,

Barth (Roland), Introduction à l'analyse structurale des récits, in l'analyse structurale des récits, Ed ; seuil, coll. : points

Benvenist (Emil),. Problèmes de linguistique générale, T: Gallimard, Paris,1966

Bremond (Claude). :Logique du récit, éd. Seuil 1973

Le message narratif, in revue communications 4

Courtés, (Josèphe) :Introduction à la sémiotique narrative et discursive, Hachette, Paris, 1976

Analyse sémiotique des discours, Hachette, 1991

Crouzet (Michel), Espaces romanesques, Paris, Puf, 1982.

De Saussure (Ferdinand), Cours de linguistique générale, publie par: Charles Bally et autres, Edition critique préparée par Tullio de Mauro, 1997

Genette(Gerard):Frontières de récit, in communication,8 Figures 2, Ed, seuil, 1969 Figurelll éditions du Seuil. 1972

Greimas(A.J) :Sémantique structurale, recherche de méthode. Larousse, 1966.

Du sens, essai sémiotique, Seuil ,1970valeurs, in Languages 31

Greimas (A.J), et. Cortes(Josephe), Dictionnaire raisonné de la théorie du langue, Paris classiques, Hachette, 1979

Groupe d'entreverves, Analyse sémiotiques des textes, Ed. PULL

Prop (V); Morphologie du conte, trad. par : T. Todorov et autres, Ed ; seuil, coll : points

Todorov(T) : Théorie de la littérature, Ed. du Seuil

Les catégories du récit, in communication.8

Dictionnaire encyclopédique des sciences du langues, édition points (avec. Ducrot(O))